الإسلام يدعو الى حرية الإنسان وكرامة البشر ، بقلم الشيخ حيدر اليعقوبي(دام عزّه)

الإسلام يدعو الى حرية الإنسان وكرامة البشر ، بقلم الشيخ حيدر اليعقوبي(دام عزّه)

كلمة لابد منها في يوم ٢/ كانون الأول (ديسمبر) الذي تعتبره الأمم المتحدة يوماً عالمياً لإلغاء الرق ، أو القضاء عليه ، مع التنبيه الى ان هذه القوانين والإجراءات كانت تتعامل مع مشكلة العبيد في تلك الدول ، فهي تهدف الى التخلص من ظاهرة الرق والرقيق التي كانت منتشرة في تلك البلدان ، ولم يكن المقصود بها الإسلام ، لأن البلاد الإسلامية في تلك الفترة ، لم تكن فيها هذه الظاهرة بارزة أو واضحة ، نعم كانت توجد حالات لكنها فردية وفي طبقات خاصة محدودة من المجتمع ..

هذه مقدمة أحببنا ذكرها، قبل أن نبدأ بتوضيح وبيان فلسفة ونظرة الإسلام وسياسته فيما يتعلق بقضية الرق أو الإسترقاق البشري أو إستعباد البشر للبشر .

مع التأكيد على ان الإسلام ليس مسؤولاً أبداً عن قضية الرق ووجود العبيد، فهذا واقع حال موجود وحاصل منذ القدم، بل هو قضية إجتماعية كانت سائدة ومعتادة في حياة البشرية منذ عصورها الأولى، بل لعلها كانت آنذاك من بديهيات العيش والحياة الإجتماعية.

واذا كان للإسلام دور أو فعل في قضية الرق والعبيد، فهو دور إيجابي وفعل إنساني؛ لأنه وإن تعامل مع

هذه القضية على أنها واقع مفروض، الا أنه أسس لمرحلة مستقبلية يمكن ان تأتي في يوم من الأيام، يختفي أو يزول فيها الرق ..

فقد أسس الإسلام قواعد متعددة وأركان متنوعة لتحديد وتقييد هذه الظاهرة، ووضع شروطاً لها، وشرع آليات ووسائل لتقليلها أوتحجيمها ، وبهذا يكون للإسلام يد السبق الأولى في الحد من ظاهرة الرق، وفي تشريع قوانين الحماية والرعاية لهذه الطبقة من المجتمع .

الإسلام تعامل مع ظاهرة الرق على أنها حالة طارئة ينبغي أن تختفي و تزول في يوم من الأيام .

وشرع لها القوانين والأحكام اللازمة على عدة خطوط ومسارات ..

الاسلام تعامل مع قضية الرق على انها مشكلة إجتماعية، وإعتبر الرق مخالفاً للأصل البشري، حيث قرر ان الإنسان في أصله حر، وان الحرية هي الأصل في كل إنسان .

ولقد عمل هذا الدين الإلهي على مشروع التخلص التدريجي من ظاهرة الرق، من خلال تشريع قوانين وضوابط تسير بخطين متوازيين يكمل أحدهما الآخر، وإن إستلزم التخطيط وقتاً طويلاً على حسب الإمكان والقدرة الفعلية..

أما الخط الأول فيكون العمل فيه لأجل تقليل فرص الإسترقاق، وتضييق الخناق على أسبابه ومناشئه، من خلال وضع شروط وقيود عديدة لمشروعية البناء على ملكية شخص لشخص آخر، مع التأكيد على أن الإنسان مهما كان، هو حر في أصله ، الا اذا أقر على نفسه بأنه عبد، أو ثبت بدليل قاطع أنه مملوك لغيره بسبب تنطبق عليه تلك الضوابط والشروط اللازمة .

وأما الخط الثاني فيكون العمل فيه لأجل تحرير أكبر عدد ممكن من الرق الموجود، من خلال تشريع قوانين ملزمة بالعتق أو مشجعة عليه.

فمن تلك التشريعات تشجيع العتق بالتأكيد على إستحبابه وفضله وعظيم الثواب عليه ..

بل ورد أن عتق العبد أفضل من بيعه والتصدق بثمنه على الفقراء.

ومن تلك التشريعات جعل العتق كفارة واجبة لبعض المخالفات الشرعية , كالإفطار في شهر رمضان، أو الحنث باليمين .

كذلك جعلت الشريعة مورداً من موارد الزكاة لتخليص العبيد من الرقية والعبودية للبشر، بأن يصرف المال في تحريرهم عن طريق دفع أثمانهم.

ولن تجد في العالم ومؤسسات العالم تشريعات واعية و مرتبة وحافظة للحقوق أكثر إنسانية وموضوعية وواقعية من التشريعات الإسلامية في معالجة قضية الرق والإسترقاق البشري ..

في الإسلام، المعيار الحقيقي والمقياس الواقعي في كرامة الإنسان وشرفه وقيمته إنما هو تقواه وإلتزامه بشريعة رب العالمين .

فالجنة ورضا الله تعالى لمن أطاع الله تعالى ، ولو كان عبداً أو مملوكاً ، والنار وسخط الله تعالى لمن عصى الله تعالى ، ولو كان سيداً من أرقى العوائل والطبقات ..

والعبودية الحقيقية لا تكون ولا تصح الا رب العالمين وخالق الخلق أجمعين، فإنه هو المالك الحقيقي وهو المالك الفعلي ، وكل المخلوقات مملوكة له و عبيد عنده ..

وفي معركة الطف إستغاث أحد الموالي (أي العبيد) بالإمام الحسين (ع) عند إصابته ، فأسرع اليه الامام الحسين (ع) وعانقه ليخفف عنه آلامه ، فما كان من ذلك العبد السعيد الا أن قال : مَن مثلي ، وابن رسول ا واضع خده على خدي ..

مع العلم ان الحسين (ع) وضع خده على هذا الشهيد ، وعلى ولده علي الأكبر عند إستشهاده أيضاً ، في تطبيق واضح وتجسيد حي لنظرة الإسلام ورؤيته لقيمة الإنسان الحقيقية .

هذه حقيقة جوهرية أحببت أن أصدع بها للعالم اليوم , هذا العالم الذي صار ينتقد المُثل والقيم النبيلة، ويتباهى بالإنحراف والإنغماس في المادية والشهوانية ..

هذا العالم الذي صار يستهين بالمباديء والرسالات السماوية التي أسسها الخالق عزوجل لصالح البشرية والخلق أجمعين .

هذا العالم الذي صار من حيث يشعر أو لايشعر رقاً ومملوكاً للشهوات النفسية والنزوات الغريزية من دون

يقاوم أو يحاول تحرير نفسه ..

هذا العالم الذي تستعبده اليوم وتسترقه شياطين الإنس والجن، وتسلبه عقله وروحه وقيمه، من دون أن يقاوم أو يحاول تحرير نفسه ..

ماذا فعل العالم اليوم وما الذي شرّعه وقنّنه للخلاص من هذه الحالات و المظاهر الداخلة في عنوان الرق والإستعباد ..

مع أن الإسلام وضع الحلول والمعالجات حتى لهذه الحالات والمظاهر، فلم يغفل عنها، ولم يعجز عنها؛ لأنه دين ا رب العالمين وخالق الخلق أجمعين .

العالم اليوم فيه إسترقاق الطواغيت لشعوبهم المقهورة، حيث يتسلط ديكتاتور بغيض ليس تعبد شعبه وين كل بهم ويستخدمهم بكل ظلم وبشاعة لتحقيق مصالحه الشخصية .

العالم اليوم فيه إسترقاق بعض الطبقات المتسلطة بالمال أو بالجاه أو بالنفوذ أو بغير ذلك , للطبقات المسحوقة إجتماعياً أو عرقياً .

اليوم يوجد إتجار بالبشر عموماً , وبالنساء خصوصاً , على مستويات مختلفة , وبدرجات متزايدة , في العالم الحديث الذي يصنفونه على أنه الأكثر تقدماً وإزدهاراً , وفي البلدان التي يعتبرونها قمة الرقي والتطور الإنساني .

هذا العالم الذي لم ينجح الى الآن في تخليص نفسه من هذه المشاكل ..

بينما إستطاع الإسلام أن يربي المجتمع الإسلامي حتى أوصله الى مرتبة من الرقي والإنسانية بحيث صار

يستهجن الرق وإستعباد البشر للبشر ، وينأى عن ذلك ، وينزه نفسه عنه ..

هذا هو واقع الإسلام الأصيل ، وهذه هي نتائج التربية الإسلامية الحقيقية ، وليست تربية الذين يلصقون أنفسهم بالإسلام وهو منهم براء ، لأنهم يشوهون صورته ، ويحرفون مسيرته .

(فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ) .